

كتب بالعبرية¹

استيطان الحركة القومية في السنوات 1939 . 1977 (هتِشَفوت شيل هتَنوعاه) هليئوميت بَشْنيم (1939 . 1977)

مينا غراور

تل أبيب: معهد جابوتنسكي، 1997. 129 صفحة.

حصلت مينا غراور على شهادة الدكتوراه من جامعة رايس في الولايات المتحدة، وهي باحثة في شؤون الحركات اليهودية الراديكالية. ويتناول كتابها هذا النشاط الاستيطاني الذي قام به الصهيونيون التنقيحيون تحديداً، بمعزل عن سائر النشاط الذي نفذته الجناح العمالي في الحركة الصهيونية، أو الهيئات اليهودية غير الصهيونية، أو رأس المال الخاص اليهودي.

يقع الكتاب في أربعة فصول، تتتابع بحسب التسلسل الزمني، بدءاً من سنة 1939 حتى سنة 1977.

يتناول الفصل الأول البدايات والمحاولات الاستيطانية منذ بداية عقد الثلاثينات. فيعرض الجذور الفكرية لاستيطان الحركة القومية في فهم مؤسسها زئيف جابوتنسكي، الذي يربط بين المنجل والسيف، أو بين المستوطن والمحارب. ثم يتحدث عن "السرايا" التي أعلن المؤتمر العالمي الأول لمنظمة بيتار تأسيسها رسمياً سنة 1931، من حيث: بنيتها؛ ماهيتها؛ أهدافها؛ الجدل الذي نشب في صفوفها بشأن الاستيطان بين مؤيد ومعارض؛ المحاولات الاستيطانية الأولى المتواضعة التي قامت بها في الثلاثينات.

¹ راجع هذا القسم خالد عايد.

أما الفصل الثاني فيحمل عنوان الاستيطان البيتاري (نسبة إلى بيتار) في الفترة 1939. 1948. وهو يعرض الحصيلة الاستيطانية الهزيلة التي حققها التنقيحيون في الفترة موضع البحث. فهم، في الواقع، أقاموا مستعمرة واحدة فقط (هي تل. تسور، التي أصبحت لاحقاً ضاحية من ضواحي إيفن يهوداه)، بالإضافة إلى محاولة لتأسيس مستعمرتي مشمار هيردين ونوردياه. وجاء الاستيطان في إبان الأربعينات "استيطاناً من الأسفل"، قام به المستوطنون أنفسهم من دون رعاية الحركة التي ينتمون إليها ودعمها.

يتناول الفصل الثالث الاستيطان في الفترة من تشرين الأول/أكتوبر 1948 حتى حزيران/يونيو 1967، وهو يتألف من جزأين: الأول يبحث في إقامة المستعمرات الإحدى عشرة التابعة لحيروت. ويلاحظ هنا أن تسعاً منها أقيمت بين سنة 1948 وسنة 1953، وهي الفترة التي شهدت دفقاً من المهاجرين اليهود الجدد وزخماً استيطانياً ملحوظاً على أراضي "الغائبين" العرب، وعلى أنقاض القرى الفلسطينية المدمرة. أما الجزء الثاني فيبحث في المؤسسات المساعدة للاستيطان (بنك إقراض، وشركة تسويق... إلخ)، وفي العلاقة بين قسمي الاستيطان في حيروت والوكالة اليهودية، والتي كانت علاقة "متوترة في الغالب ومترافقة باتهامات متبادلة" (ص 105). ويتحدث هذا الجزء عن "لامبالاة" حيروت تجاه قسم الاستيطان التابع لها في هذه الفترة أيضاً. وتردّ المؤلفة ذلك إلى "أن الاستيطان لم يحتل موقعاً مركزياً في سلم أولويات الحركة القومية، لا قبل قيام الدولة ولا في الأعوام الأولى التالية لتأسيس حيروت" (ص 108. 109).

أما الفصل الرابع والأخير فيتناول الاستيطان في الفترة 1967. 1977، التي كان الحصاد الاستيطاني الحيروتي فيها هزيراً أيضاً (6 مستعمرات في الأراضي العربية المحتلة حديثاً). وقد استمر في هذا العقد أيضاً تدمير مستوطني حيروت من لامبالاة حركتهم. وفي الخاتمة، توجز المؤلفة حصيلة 38 عاماً من استيطان الحركة القومية، تمكنت هذه الحركة خلالها من إقامة 19 مستعمرة فقط. وتعود الكاتبة، في تفسيرها لهذه الحصيلة، إلى ما سبق أن أكدته من أن الاستيطان لم يشغل موقعاً رئيسياً في سلم أولويات تلك الحركة (ص 124).

بعد هذا العرض الموجز، نسجل الملاحظات التالية:

1. أفرطت المؤلفة في الاعتماد على مصادر الحركة القومية نفسها (مصادر وأرشيف معهد جابوتنسكي، ومقابلات مع قدامى المستوطنين من الحركة... إلخ). وبرز

هذا الأمر في الفصلين الأول والثاني خاصة، حيث كادت المصادر تكون تنقيحية حصراً. ولعل ذلك ساهم في تقديم صورة محسّنة للاستيطان البيتاري.

2 . لم يوضع استيطان الحركة القومية في السياق العام للنشاط الاستيطاني اليهودي، إلا في الفصل الرابع. إذ لو وُضع في مثل هذا السياق لبرزت هزالة الاستيطان البيتاري أكثر (19 مستعمرة)، في مقابل مئات المستعمرات التي أنشأتها التيارات الأخرى ورأس المال الخاص.

وقد تعود الملاحظتان الأولى والثانية، جزئياً على الأقل، إلى أسباب دعائية خاصة بالحركة القومية، ولا سيما إذا علمنا بأن الكتاب أُعد بناء على طلب "مستعمرات حيروت بيتار" (وبتمويلها، على ما يبدو)، وصدر عن معهد جابوتنسكي.

3 . ما لم تبرزه المؤلفة لدى تفسير "المبالاة" الحركة بالاستيطان، بدءاً بجابوتنسكي وصولاً إلى بيغن (تغيّر الأمر بعد وصول الليكود إلى السلطة سنة 1977)، هو "المبالاة" الفائقة بنوع آخر من النشاط هو الإعداد العسكري. ويعود هذا الاهتمام إلى الاعتقاد الراسخ أن أهداف الصهيونية تتحقق بواسطة القوة، لا بواسطة "دونم آخر وماعز أخرى". كما يقول شعار التيار الصهيوني العمالي. وهكذا، فإن الاعتبارات "الأمنية" هي غالباً ما أملت قيام مستعمرات بيتار أو محاولات إقامتها. كما أن هذه المستعمرات عملت قواعد لمقاتلي المنظمة العسكرية القومية (إيتسل)، ومراكز للتدريب العسكري وتخزين السلاح.

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: majallat@palestine-studies.org
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:
<http://www.palestine-studies.org/ar/mdf>